الفصل الثالث

التحديات الثقافيـــــــة

- تحدى دعوات الإلحاد والمذاهب الهدامة .
- تحدى التبشير والاستشراق .
- تعدد اللغات .
- حوار الحضارات .

obeikandl.com

obeikandl.com

يعد التحدى الثقافى أحد أهم التحديات التى تواجهها الأمة الإسلامية باعتبار أن الثقافة هى الخلفية الأساسية لتحديد آليات المواجهة وفلسفتها. وباعتبار أن أية مواجهة ناجحة للتحديات لا بد وأن تستند على أسس هامة ،كالهوية والبعد الاستراتيجى لفكرها وثقافتها المستمد انطلاقاً من التراث ومن محاولات الإبداع الحضارى لتجديد الرؤى الثقافية على ضوء الواقع البيئى والمنهج الإسلامى الصحيح ،ومن خلال التآلف والتقارب بين مختلف هذه الرؤى من منطلق الأصل القرآنى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} سورة الحجرات آية ١٢. وذلك حتى نلتف حول قاعدة فكرية للتفكير والاجتهاد على أساس من الثقة بالآخرين من المسلمين المجتهدين أو الآخر المختلف عنا باعتبار أنه كل من يختلف عنا ليس بالضرورة عدوا لنا أو يريد لنا السوء.

ومن التحديات الثقافية التى تواجهنا :-

-تحديات دعوات الإلحاد والمذاهب الهدامة.

-حوار الحضارات.

-تحدى التبشير ودعوات الاستشراق .

-تعدد اللغات.

وذلك كما يتضح من الرسم التالى :-

شكل رقم (٤)

يبين التحديات الثقافية التى تواجه الدعوة

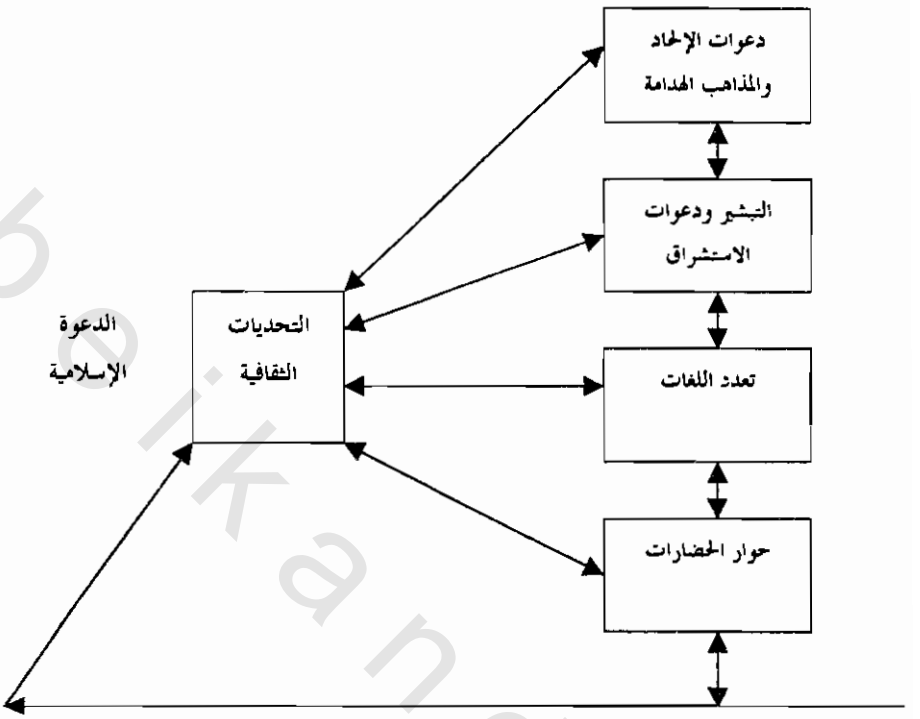

١-تحديات دعوات الإلحاد والمذاهب الهدامة فى العالم الإسلامى:-

هذه التحديات التى يتنوع وجودها العالم الإسلامى وتبث سمومها فيه وترتبط بمنظمات دوليه وخطط منظمة تساهم فيها الصهيونية العالمية والشيوعية الملحدة والصليبية الحاقدة تمثل تحدياً قوياً للدعوة الإسلامية بل والعالم الإسلامى بكافة فئاته ومؤسساته ومنظماته .

وتتنوع هذه الدعوات كما تقول الدكتورة ماجى الحلوانى[٢٩] إلى أنواع عديدة منها :-

- دعوات هدامة للعقائد والقيم : مثل الدهرية والبهائية والقاديانية .

- دعوات هدامة للمجتمعات والأمم : وهى المخططات التلمودية والعنصرية والمادية والعلمانية

- دعوات هدامة للنفس والأخلاق : وهى الفرودية والوجودية والهيبية .

وتقوم هذه الدعوات الهدامة على ترويج أفكار مثل أفكار عدم وجود الله ومعارضة التوحيد والتشكيك فى القرآن والسنة وإباحة الملذات والدعوة للخروج على التقاليد والقيم وإثارة الشكوك والاضطراب والضلال ومحاربة الأديان والتأثير السيئ على عقول الشباب وعبادة اللذة والدعوة لإبطال الشريعة وتدمير الأسرة وتحطيم الدين.[٣٠]

وواجب المسلمين عامة والدعاة خاصة العمل على مقاومة هذه الدعوات وتفنيدها كما بين القرآن الكريم فى عرضه وتحليله للدعوات الهدامة المختلفة عبر مسيرة التاريخ والتى حفلت بها آيات القرآن الكريم موضحة بذلك الأسلوب والمنهج المتبع لتحصين المسلمين ضد هذه الدعوات.

وواجبنا من ناحية أخرى لمقاومة هذه الدعوات الهدامة هو العمل على إقامة المجتمع الإسلامى الذى يستند إلى كتاب الله وسنة

رسوله ويستمد حصانته ووجهاته من العاقبة التى يقدمها للنـاس فى أرواحهم .

٢- التبشير ودعاوى الاستشراق :-

من التحديات الثقافية التى تواجه الدعوة الإسلامية فى الوقت الراهن دعاوى الاستشراق والتبشير بالمسيحية . وقد بدأ هذا التحدى واضحا منذ بدأت المواجهة بين الإسلام وبين غيره من العقائد الأخرى منذ أن دوت فى مكة بشائر الدين الجديد ، واشتد الصراع بين الجديد الذى يستظله الناس أفواجا وبين عناد الآخرين وتعصبهم ، فى حين أن الإسلام يتعامل مع الجميع على أساس قاعدة عامة : {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة} سورة النحل آية ١٢٥، وعندما انتشرت راية الإسلام فوق الممالك غير الإسلامية ، بدأت الحملة المسعورة ضد الإسلام والمسلمين تأخذ شكل الجهاد الصليبى المقدس فى حروب استمرت أكثر من قرنين (١٠١٩ / ١٢٥٤م) .

وعندما فشلت هذه الحملات المسعورة فى دحر المسلمين ؛ تكتلت القوى المناهضة للإسلام مع بعضها وأخذت هذه الحملات تأخذ شكلا جديدا غير مباشر يتمثل فى معرفة المسلمين وكشف نقاط ضعفهم للهجوم عليهم منها بهدف تحويل الناس إلى الإنجيل ، ومن هنا بدأ الاستشراق كوسيلة تبشيرية وإن لم تتضح أهدافه فى البداية ــ وبات الاستشراق والتبشير صنوين لا ينفصلان عن

قوى الغرب العدائية التى استهدفت العالم الإسلامى ، فتخصص الاستشراق فى أديان الشرق ولغاته وتعمق فى آدابه وعادات أبنائه ، مقارنا بينها وبين الإسلام ، راميا إلى هدمها جميعا وهدم الإسلام على الأخص ، وتخصص التبشير فى إشاعة الأفكار الهدامة وتكيفها حسب متطلبات العصر ومخططات الغرب السياسية للوصول إلى زمام الأمور لهؤلاء المسلمين والقضاء على مقومات حضارتهم.. وليس أدل على علاقة التبشير بالاستشراق من هؤلاء الذين جمعوا بين الاستشراق والتبشير وكان لهم دورهم فى توجيه سياسة الشرق ، ومنهم :

"ريموندلال" و "توما الإكوينى" و "روجر بيكون" قديما ، و "أرنست رينان" و "جبرائيل هانوتو" فى نهاية القرن التاسع عشر ، و "ما سينيون" و "زويمر" و "لامنس" و "مرجليوث" وغيرهم منذ بداية القرن الحالى حتى منتصفه .

واستتر الاستشراق[٣١] تحت ستار البحث العلمى، أما التبشير فقد اختار للوصول إلى نفس الهدف طريق تقديم الخدمات الإنسانية مثل التعليم وإنشاء الملاجئ والمستشفيات والمساعدات والمنح الدراسية وغيرها من صور الخدمات . ولكن هدفهما ـ الاستشراق والتبشير ـ فى النهاية واحد، وهو إضعاف المسلمين وتوسيع شقة الخلاف بينهم حتى لا تكون صيحة الحق مدوية عالية، فالاستشراق يعرف ويمهد ، والتبشير يغزو ويغير الاتجاهات

.. والتبشير فى الديانة النصرانية هو الغاية والوسيلة معا ، والتبشير بالإنجيل هو حمل الإنجيل للتبشير به أى أن التبشير كمعنى هو الدعوة إلى ما جاء به الإنجيل وحمل الناس عليه بصورة أو بأخرى كأفراد أو جماعات من أية عقيدة أخرى ـ غير مسيحية ـ إلى العقيدة المسيحية .

والراصد لحركة التبشير يتبين أنه أنواع متعددة ، حسب الجمهور الذى سيخاطبه بغية تعديل اتجاهه.. فهناك ما يأخذ صورة النقاش العلمى الجدلى ، وهذا النوع من التبشير ليست له نتيجة إيجابية ، لأن الإسلام أصوله ثابتة لا تتزعزع وهى صريحة وخلقية ومنطقية ، وقد يأخذ هذا النقاش صورة سوفسطائية تشكيكية هدفها قلب الحقائق والتحقير من شأن الحضارة الإسلامية ورد أصولها إلى جذور مسيحية ، وقد يأخذ التبشير الصريح ـ أيضا ـ مظهر العنف والمواجهة المسلحة ، كما حدث فى الحروب الصليبية على الشرق المسلم ،وأسلوب القرصنة وغير ذلك . كما أن هناك التبشير الذى يتخفى وراء أساليب الرحمة بإنشاء المستشفيات والملاجئ وتقديم المعونات ، أو عن طريق مؤسسات التعليم كما تفعل جماعة "الفرير" أو "السورات" ، وكل ذلك يأتى بعد معرفة دقيقة بلهجات أو لغات الأمم التى يمارس فيها هذا التبشير ، ودراسة نفسية هذه الشعوب ومعرفة عاداتها وطقوسها وتقاليدها واتجاهاتها الروحية ، ومعرفة جماعات الضغط وصناعة

القرار بها لاستمالتهم ماديا ومعنويا بكل الطرق لفتح الطريق إلى شعوبهم ، والاستعانة بهؤلاء القادة أنفسهم فى اكتساب خبرات هذه الشعوب، وفى نفس الوقت محاولة اخراطهم ـ القادة وجماعة الضغط ـ فى الجانب التبشيرى دون أن يكون ذلك بالأسلوب الصريح[٣٢] .

يقول المستر بلاس البروتستانتى فى كتابه "ملخص تاريخ التبشير" إن الدين الإسلامى هو العقبة القائمة فى طريق التبشير بالمسيحية فى أفريقيا. والمسلم هو العدو اللدود لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضا إلا من الإسلام[٣٣] .

وفى إطار مواجهة هذا التحدى.. فقد آن الأوان للتوجه بشكل مناسب إلى غير المسلمين بالصورة الموضوعية عن الإسلام من حيث البناء والتطبيق.. واستنادا إلى الكتابات المحايدة والموضوعية التى كتبها غير المسلمين عن الإسلام.. وإن كان ذلك يقتضى منهجا للدعوة يتسم بالدقة فى التخطيط العام وفى التنفيذ والبصيرة فى المتابعة وكوادر مؤهله ومؤمنة برسالتها واستمرارية فى العمل وتمويلا مناسبا . {كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال} سورة الرعد آية ١٧.

٣-تعدد اللغات :-

إذا كان الإسلام قد انتشر بين أمم وشعوب كثيرة تمثل فى جملتها الآن أكثر من ٢٠% من جملة سكان العالم.. وإذا كانت اللغة العربية هى اللغة التى نزل بها القرآن.. ومع اعتزازنا كعرب بهذه اللغة.. إلا أننا فى مجال الخروج بالدعوة الإسلامية إلى خارج نطاق الأمة العربية تواجهنا فى إطار محاولاتنا نشر المبادئ والقيم الإسلامية حتى بين أبناء هذه الشعوب المسلمة تواجهنا مشكلة تعدد اللغات .

ففى أفريقيا مثلا توجد إلى جانب العربية لغات عدة كالأمهرية والتماشكية البربرية والفاى الليبرية.. والعديد من اللغات الأوروبية الوافدة على القارة .

واللغة هى المدخل الطبيعى لنقل الأفكار ولفهم كيفية التأثير والتغلب على صعوبات تغيير الاتجاهات وهى أيضا المدخل لخلق الجو الملائم لانتشار الدعوة الإسلامية وتدعيمها ولإقامة تفاهم مشترك بيننا وبين أبناء هذه الشعوب .

ولذلك فمن الضرورى لتهيئة المناخ المناسب للدعوة أن نساعد أولا فى إنشاء أقسام لتعليم اللغة العربية بهذه البلدان . وأن تكون برامجنا الإذاعية والتليفزيونية الموجهة لهذه البلدان بنفس اللغة التى ينطقون بها وكذلك توخى نفس لغاتهم فى الكتيبات والمطبوعات الصغيرة التى تتناول مبادئ الدين الإسلامى الحنيف فى

شرح مبسط دون الدخول فى المناظرات والاجتهادات التفسيرية للآيات الكريمة[٣٤] .

ومن الضرورى توفير المنح الدراسية لأبناء هذه الشعوب لدراسة الإسلام دراسة منهجية فى جامعاتنا الإسلامية كجامعة الأزهر وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجامعة أم القرى بمكة المكرمة وغيرها للالتفاف حول مشكلات عائق اللغة كتحد يواجه الدعوة الإسلامية المعاصرة .

٤- حوار الحضارات :-

لا تمثل هذه المشكلة الآن تحديا للدعوة الإسلامية فقط أو لدول العالم الإسلامى فقط وإنما تمثل تحديا للعالم أجمع .

فى عام ١٩٩٨ بواسطة الجمعية العامة ، عهد السكرتير العام للأمم المتحدة إلى تقديم تقارير سنوية كان أخرها تقريره للدورة الـ ٥٦ لتبنى قرار بشأن تحديد عام لحوار الحضارات والإعداد له والأنشطة المتصلة به ، كما طالبت بإسهامات الدول والمنظمات فى هذا الشأن ، ومن ناحية أخرى، شكل السكرتير العام للأمم المتحدة فريق خبراء يضم ١٩ خبيرا من مختلف الخلفيات الحضارية منهم الدكتور أحمد كمال أبو المجد من مصر ـ لإعداد تقرير السكرتير العام للجلسة الخاصة للجمعية العامة بشأن حوار الحضارات والتى عقدت فى نوفمبر ٢٠٠١ لمناقشة ما حدث فى

إطار فعاليات هذا العام للحوار بين الحضارات طبقا لما قررته الجمعية العامة عام ١٩٩٨.

وإذا استعرضنا قرارات الجمعية العامة السنوية منذ عام ١٩٩٨ حول حوار الحضارات نجد تزايدا مطردا فى عدد الدول التى تبنت فكرة الحوار . وهناك دول حرصت فى البداية على الابتعاد عن هذه القرارات ربما توجسا من أجنده خفية كامنة ورائها ، وبصفة عامة فقد تم اعتبار حوار الحضارات مدخلا لتعزيز العلاقات الودية والتعاون للسلم والأمن الدوليين[٣٥] .

ويعتبر افتقاد الحوار فى أى مجتمع من المجتمعات دليلا " كما يقول الباحث نبيل على صالح" على وجود خلل واضطراب فى بنيته العامة ، فى آليات عمله ومفاصله المختلفة.. لذلك يكون الحوار المسئول هو الحل الأمثل والشامل للخروج من الواقع المأزوم والعقد التى يرزح تحتها أبناء المجتمع ، بهدف بناء حالة مجتمعية إنسانية تؤسس لقيم العدالة الاجتماعية والحرية والمساواة والمبادئ الإنسانية الأخرى.. إن قضية الحوار والحرية الفكرية والاستقلال المعرفى هى التى يمكن أن تعطى الوعد الحقيقى ، والأمل المشرق فى الخروج من الأزمة العامة ، والتحديات المصيرية التى شهدتها ولا تزال تشهدها وتمر بها أمتنا العربية والإسلامية ، بعد سنين من غلبة الطابع الاستبدادى فى الممارسة السياسية والفكرية والاجتماعية ، وعدم فتح المجال أمام الجميع (من مفكرين

ونخب واعية وجماهير شعبية) فى المشاركة الفعلية المنتجة فى اتخـــاذ خطوات فاعلة فى عملية النهوض وصنع القرارات المصيرية وتحمل عواقبها ونتائجها .

لذلك كان من الضرورى أن تتشـــارك القـــوى والتيـــارات الفكرية والسياسية ، العاملة على أرض الوطن العربى والإســـلامى، فى عملية صنع جدية ومسئولة للحوار الذى يشكل البديل العقلانى والطبيعى لمنطق التفرقة وعلاقات التشرذم والتنابذ ،هذا المنطـــق الذى أفرز على صعيد الممارسة العملية، مزيدا مـــن الانهيـــارات والتراجعات والقبول بالهزيمة النفسية والسياسية والانسحاق تحـت وطأة الآخر (الغربى والصهيونى).. الأمر الذى قـــاد إلى التحكـــم المباشر وغير المباشر بمقدراتنا، وضيـــاع العنفـــوان السياســـى ، والدخول فى إطار وآلية التفاوض السلمى المزعوم مـــع الكيـــان الصهيونى على رغم رفضه هو نفسه فى واقع الأمر له كما تشير إلى ذلك الممارسات.

إن اعتماد الحوار وسيلة لمواجهة أزمات التراجع والتفكـــك والانهيار فى دوائر هذه الأمة ، هو الوسيلة لاستحضار العقل الذى جرى ويجرى تغييبه من مجال الفعل والخلق والإبـــداع والتنظيـــم الذى تتطلبه مشروعات النهوض بالأمة الإسلامية [٣٦] .

وقد تضمن القرآن نماذج كثيرة للحوار ليقتدى بها الدعـــاة فى مناهج الدعوة إلى الله.. سواء الحوار مع النفس أو مع المســـلمين أو

مع الآخرين من أصحاب العقائد والمذاهب الأخرى.. وقد أسس لهذا الحوار بما يتناسب مع أساس وجود الإنسان وعمق فطرته ،ومن خلال وضع شروط ومناخات حركة الحوار فى بعده النفسى والسلوكى من أجل تحقيق مصلحة الإنسان . وقد وردت كلمة الحوار فى القرآن الكريم فى ثلاثة مواضع {فقال لصاحبه وهو يحاوره} سورة الكهف آية ٣٤ ، {قال له صاحبه وهو يحاوره} سورة الكهف آية ٣٧ ، {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما} سورة المجادلة آية ١.

أما بالنسبة للدعوة الحوارية فى القرآن الكريم[٣٧] فجاءت بهدف تعميق مساحات الحركة الفكرية الفاعلة فى خط اللقاء المثمر كوسيلة عملية تحشد طاقات الأمة وتوحد صفوفها فى عملية المواجهة والانطلاق. لذلك عمد القرآن الكريم إلى وضع منهجية متطورة للحوار العلمى الموضوعى نلحظها من خلال تبصرنا لبعض الآيات مثل:

١- {وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين..} سورة سبأ آية ٢٤ .تتأسس كل مناهج الحوار العلمية الموجودة فى العالم على اعتبار : أن رأيي صواب قد يحتمل الخطأ ورأى محاورى الآخر خطأ لكنه يحتمل الصواب.. أما القرآن الكريم ، كما يتضح من خلال الآية السابقة ، فقد أشار إلى أن الحوار يقوم على أساس

وجود (الفكر) أو "القيمة المبدأ" فهى التى تحكم صوابية أو خطأ الأطراف المتحاورة .

من هنا نبه القرآن إلى أهمية الابتعاد عن الجانب الذاتى فى عملية الحوار وتغليب الجانب الموضوعى المبنى على ركيزة فكرية هادفة، فليست المسألة هنا رأيا شخصيا لهذا الطرف أو ذلك، بل المسألة أن هناك فكرة واعية ومنفتحة قد أكون على هدى ورشد فكرى شامل ومنظم ، إذا ما اقتنعت بها وجعلتها محورا لحركتى فى الحياة.. إن القضية هى الموضوعية التى يخرج فيها الإنسان عن ذاتيته وتبقى الفكرة ويبقى الإنسان مجرد شخص يلاحق الفكرة ليصل بها إلى نهاياتها السعيدة.

٢- {هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحآجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون} سورة آل عمران آية ٦٦ . فإنه يؤكد على الدعوة إلى المنهج الإسلامى الحوارى الذى ينفتح على الحياة كلها والإنسان كله ، وعلى سلوك طريق البحث الدقيق والحوار الموصل إلى الحقيقة.. فنحن نريد أن نلتقى بالحقيقة بشرط أن نمتلك الوسائل والآليات الفاعلة التى تجعلنا على علم بها ، ونتواصل مع أفقها المتحرك.. ولا سبيل إلى ذلك إلا بالحوار الهادئ والصادق الذى ينفتح على الآخر من موقع التجرد عن معطياته الشخصية ، وتقديم براهينه الواضحة ،

تماما كما يقدم محاوره براهينه ودلالاته وينفتح عليه من نفس الموقع .

أما حوار الحضارات والتى تفجر بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر وفرض نفسه على الدعوة الإسلامية وعلى شعوب العالم الإسلامى والعالم ككل.. فقد تعرضنا لمناقشة من حيث مفهومه وأبعاده وأهدافه فى الورقة البحثية التى أوردناه أمام المؤتمر الدولى للقاء الحضارات والذى عقد بكلية آداب سوهاج مارس ٢٠٠٣ ، فبالسبة لمفهوم حوار الحضارات من منظور الاتصال الثقافى يمكن اعتباره عملية نقل للأفكار والآراء والقيم والمعتقدات والمشاعر والاتجاهات، يبدأ بين أبناء حضارتين أو أكثر بغرض تحقيق التضامن والتفاهم والتعايش وتبادل الآراء والمصالح.

والحوار بهذا ليس كما يدعى البعض حوار بين طرف واحد هو الحضارة الغربية وطرف ثان هو الحضارة الإسلامية وإلا فتحنا الباب للفتن والإرهاب والتضجرات الداخلية ونكون بذلك قد قسمنا العالم إلى حضارتين متناحرتين .

إن حوار الحضارات مختلف تماما عن صراع الحضارات.. فمقولة صراع الحضارات التى ترعرت فى أحضان العولمة والتقدم التكنولوجى لا تعنى فى حقيقة الأمر أن هناك صراع حضارات ولكن تعنى صراع مصالح اقتصادية من أجل المزيد من الربح

والتوسع والسيطرة والطمس للخصوصيات القوميـــــة والوطنيـــة والثقافية دعما لهذه السيطرة .

obeikandl.com